وهكذا فإن البياض ليس في الواقع ضرورة مادية مفروضة على القصيدة من الخارج، بل هو شرط وجود القصيدة، شرط حياتها وتنفسها، إن البيت سطر بتوقف لا لأنه وصل إلى حد مادي، أو لأن الفضاء ينقصه ولكن لأن مهمته قد انتهت، وقوته قد استهلكت[49].

إن توزيع البياض والسواد يعتبر أثراً لاشتغال الكتابة في تنظيم الصفحة وتنضيد الأسطر الشعرية، ولكن دوره داخل الفضاء النصي لا يقتصر فقط على ضبط نظامه بل يمكن أن يتجاوز ذلك إلى تقديم دلالات أيقونية ـ إما في ارتباطه بالمنتج، أو في علاقته بالسياق النصي.

أما بالنسبة للشعراء المعنيين هنا، فإن وعيهم بهذا المظهر نظرياً على الأقل بقي محصوراً في حدود ضرورة ترك مجال لممارسة حدود الرغبة، إذ أن كل كتابة مملوءة هي كتابة مسطرة لحد واحد يدعي تملك الحقية وليوجد ضمن الحياة الميتافيزيقي، ببدايته ونهايته المعلومتين[50].

تلزم الإشارة هنا إلى أن توزيع البياض والسواد لا تحكمه فقط مقتضيات تنظيم الفضاء النصي، بل يمكن أن يضبطه وينظمه مقتضى الفضاء الصوري في الوقت الذي يتعلق فيه الأمر بإدماج عنصر التشكيل الخطي في النص.

تبقى الإشارة إلى أن القدرة الإيحائية لتوزيع البياض والسواد في النص، تضعف، في الاتجاه الأول، أي اتجاه الكتابة المضاعفة عند راجع وبنيس، لأن المشتغل على فضاء الصفحة، هو الخطاط وليس الشاعر ومن ثمة فإن احتمالات انعكاس فعل القراءة كإعادة إنتاج أقوى من احتمالات انعكاس فعل الكتابة الأصلي، وحتى ولو كان الإنجاز قد تم تحت إشراف النتج الأصلي ـ فإن الفضاء الرصود كعلاقة بصرية مركبة، يبقى هو فضاء الناسخ.

العنصر الأخير الذي يمكن تناوله في إطار الفضاء النصي هو المستوى المتصل بعلامات الترقيم، وهو مستوى يمكن أن يدمج بين مستوى الخط، ومستوى توزيع البياض والسواد.

الترقيم:

رأينا مع ف. ليوطار كيف أن الوقفات التي تحددها الاختلافات الطباعية، ـ سواء منها تلك التي تفصل بين حروف الكلمة نفسها، أو كلمات الجملة نفسها أو جمل الفقرة نفسها ـ لا تمتلك أية قيمة بصرية، وإنما هي مجرد حالات خاصة للترقيم[51].

---

(49) كلوديل عن د. دولاس و ج. فيليولي. م م، ص: 170.

(50) ينظر بيان الكتابة، لمحمد بنيس، م. س، ص: 46

(51) ينظر القسم المتعلق بالبياض والترقيم في عرضنا للفضاء النصي والفضاء الصوري عند ليوطار.